Bible Study

The Book of Genesis

Chapter 21

سفر التكوين – الاصحاح الحادي والعشرون

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الاصحاح الحادي والعشرون: اسحق ابن الموعد

"وافتقد الرب سارة كما قال، وفعل الرب لسارة كما تكلم، فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابنًا في شيخوخته، في الوقت الذي تكلم الله عنه" [1 - 2]

- إن كان إبراهيم قد ترك سارة في يدي الملك الوثني أبيمالك بعدم إعلانه عن العلاقة الزوجية التي تربطها معًا، فقد حفظها الرب دون أن يمسها أحد، وردها مكرمة لكي تنجب إسحق ابن الموعد، الذي بنسله تتبارك الأمم.

- إن كان إسحق من زرع إبراهيم ومن صلبه، لكنه في الحقيقة هو عطية الله له ولسارة، هو ثمرة افتقاد الرب لسارة ووعوده لها ولرجلها، لهذا يتطلع الآباء إلى إسحق ليس كابن طبيعي لإبراهيم بل هو "ابن الموعد"، لهذا يؤكد الكتاب: **"افتقد الرب سارة"**، كما يعلن أنها **"ولدت لإبراهيم ابنًا في شيخوخته"**، بمعنى أنه ابن إبراهيم حقًا لكنه جاء في شيخوخته بعد أن نزع الرب بافتقاده لسارة عقرها. كما سبق أن قلنا كان رحم سارة شبه ميت أو أشبه بحجر منه جاء إسحق رمزًا لكنيسة العهد الجديد التي ولدت من سارة الجديدة، وجاء أعضاؤها من الأمم كما من الحجارة. وكما يقول القديس كبريانوس: [نجد في الإنجيل أبناء إبراهيم قد قاموا من الحجارة (متي 3: 9) إذ جُمعوا من الأمم].

"ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة اسحق. وختن إبراهيم اسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما امره الله. وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه. وقالت سارة قد صنع الي الله ضحكًا، كل من يسمع يضحك لي. وقالت: من قال لإبراهيم سارة ترضع بنين حتى ولدت ابناً في شيخوخته" [3 - 7]

- لقد بقي إبراهيم ومعه سارة عشرات السنين بلا طفل، لكن الله افتقدها بطفل على مستوى لائق بالوعد الإلهي يفرح شيبتهما، بل ويفرح قلوب البشرية كلها... إنما جاء "في الوقت الذي تكلم الله فيه". مواعيد الله صادقة وأمينة تنالها في حينها إن بقينا أمناء ننتظر بإيمان، لهذا يؤكد القديس بولس الرسول: "لا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل" (غلاطية 6: 9).

- سنحصد اسحقنا الحق أي تجلي السيد المسيح داخلنا، إن كنا لا نكل في جهادنا الروحي المنبعث عن الإيمان الحيّ الذي لا يفتر.

- في اليوم الثامن ختن إبراهيم إسحق: "كما أمره الله" [6]. وكأن سارة تمثل الكنيسة التي تمتلئ فرحًا بولادة بنيها روحيًا، بختانهم ليس حسب الجسد وإنما حسب الروح، خلال مياه المعمودية. حينما يخلع الإنسان بالروح القدس الإنسان العتيق ويلبس الجديد الذي على صورة خالقه تمتلئ الكنيسة ضحكًا روحيًا... إذ صار لها ابنا مفرحًا للسماء!

"فكبر الولد وفطم، وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحق" [8]

- لم يصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم ولادة إسحق، إنما يوم فطامه. إن كنا لا نستطيع أن ننكر الفرح الشديد الذي ملأ قلب إبراهيم وسارة وكل محبيهما يوم ولادته، لكن إبراهيم يود أن يرى إسحق ناميًا ينتقل من مرحلة إلى أخرى ليبلغ كمال النضوج. ليتنا نكون كإبراهيم لا نفرح لولادة إسحق فحسب وإنما بفطامه أيضًا ونضوجه، أي نفرح بكل نمو روحي لإنساننا الداخلي الذي يتجدد بلا انقطاع لعله يبلغ إلى قياس قامة ملء المسيح (أفسس 4: 13). يعلق العلامة أوريجانوس على فطام إسحق بقولة: [إسحق يعني الضحك أو فرح من يستطيع أن يلد ابناً كهذا ؟! فقد قال الرسول للذين ولدهم في الإنجيل: "لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا" (1 تسالونيكي 2: 20). يُفطم هؤلاء المولودين فنصنع وليمة ويكون فرح عظيم، إذ لا يعود هؤلاء يحتاجون إلى اللبن بل إلى الطعام القوى (عبرانيين 5: 12)، و"قد صارت لهم الحواس مدربه على التميز بين الخير والشر" (عبرانيين 5: 14). لهذا تقام وليمة عظيمة يوم فطامهم. لكن لا يمكن أن تقام وليمة لا يكون فرح بالنسبة للذين يقول عنهم الرسول: "سقيتكم لبنًا لا طعامًا لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضًا لا تستطيعون، لأنكم بعد جسديون... لم أستطيع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين، كأطفال في المسيح" (1 كورنثوس 3: 2، 1)

"ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه" [9 - 11]

- الوليمة العظيمة التي أقامها إبراهيم يوم فطام إسحق ألهبت مشاعر هاجر وابنها بالضيق والغيظ، فتذكرت هاجر مرارة هروبها من وجه ساراي (16: 6)، وكانت إلى وقت قريب تتطلع إلى ابنها بكونه الوارث الوحيد لإبراهيم.
- هذه المشاعر تجسمت في حياة ابنها الذي صار يمزح مع إسحق (21: 9) مزاحًا سخيفًا يكشف عن مرارة نفسه التي لم يكن من السهل أن يخفيها، حتى دعى الرسول بولس هذا المزاح اضطهادًا (غلاطية 4: 29)، الأمر الذي أثار نفس سارة فطالبت إبراهيم بطرده مع أمه، قائلة **"لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق" [10]**.
- قبح الكلام جدًا في عيني إبراهيم إذ حسبه ظلمًا من سارة، هذا مع عدم تجاهله لابنه حتى وإن كان من جارية.
- بلا شك كان قلب إبراهيم قد تعلق بابنه الذي حسبه لسنوات طويلة الوحيد له حتى متى جاء إسحق لم يكن سهلاً أن يطرد الأول، لكن الأمر الإلهي جاء صريحًا أنه لا يرث.

- وقد فسر لنا الرسول بولس ما حمله هذا الأمر من نبوة رمزية. فالابن الأول والأكبر سنًا جاء حسب الجسد، أما الثاني فجاء حسب وعد الله يمثل الأبناء بالروح، وكأن الأول يشير إلى اليهود الذين تمسكوا بحرفية الناموس وشكلياته وعاشوا على مستوى الجسد لا الروح، فصاروا مطرودين، أما كنيسة العهد الجديد فجاءت ثمرة النعمة الإلهية لها حق الميراث.
- في وضوح يقول الرسول: **"الذي من الجارية وُلد حسب الجسد وأما الذي من الحرة فبالموعد. وكل ذلك رمز، لأن هاتين هما العهدان: أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر... وأما نحن أيها الأخوة فنظير إسحق أولاد الموعد، ولكن كما كان حينئذ الذي وُلد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح، هكذا الآن أيضًا. لكن ماذا يقول الكتاب: أطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة. إذًا أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة" (غلاطية 4: 23 - 31).**
- وإذ قبلنا الإيمان بالسيد المسيح صرنا بالروح القدس أولاد سارة (كنيسة العهد الجديد) الحرة، أما إن سلكنا خلال الحرف الناموسي القاتل والشكليات بلا روح فنرتد إلى روح العبودية لننتسب للجارية.
- يقول العلامة أوريجانوس: [أن سلكتم حسب الجسد تكونون أبناء هاجر، وبالتالي تتعارضون مع الذين يعيشون بالروح].

- إن سلكنا حسب الحرف القاتل وعشنا في أعماقنا كجسديين نكون كالابن الجسد الذي يمثل الإنسان الأول الترابي، أما إن سلكنا بالروح فنصير أبكارًا لا حسب الجسد بل حسب الروح ونحسب روحيين وكما يقول الرسول بولس: **"ليس الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني، الإنسان الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني الرب من السماء. كما هو الترابي هكذا الترابيون، وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضًا. وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضًا صورة السماوي" (1 كورنثوس 15: 46 - 49).**
- إذ يوجد إسحق في داخلنا، أي نحمل روح الإنجيل الحيّ، يطرد حرف الناموس القاتل!

"فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك. فبكر أبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعاً اياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع. ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الاشجار. ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس لانها قالت لا أنظر موت الولد. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت" [12 – 16]

- بناء على الأمر الإلهي صرف إبراهيم هاجر وابنها بعد أن زودهما بالخبز وقربة ماء وودعهما في الصباح الباكر لعلهما يجدان مأوى قبل الظهيرة.
- وكان الولد يبلغ حوالي 16 عامًا من عمره... فخرج الاثنان إلى البرية متجهين نحو الجنوب وقد تاها في البرية التي دعيت بعد ذلك "بئر سبع".
- وإذ فرغ الماء من القربة خار الولد من العطش فتركته أمه مطروحًا في الظل تحت الأشجار، إذ قالت **"لا أنظر موت الولد" [16]**. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت.
- بينما كان الطفل إسحق يرتوي من ينابيع حب أبويه بلا توقف، شرب ابن هاجر من القربة المصنوعة من جلد حيوانات ميتة، فلم تستطع أن تروه إلا قليلاً ليبقى في حالة ظمأ وإعياء ويقترب جدًا من الموت.
- إنها صورة تكشف عن الفارق بين روح الحياة الإنجيلية والفكر الجسداني النابع عن حرفية الناموس.
- فإن قبلنا روح الإنجيل نسكن في الخيمة لنرتوي من ينابيع محبه الله أبينا والكنيسة أمنا، فنكون كإسحق المرتوي بحب إبراهيم وسارة، أما إن سلكنا بالحرف القاتل فندخل إلى البرية في حالة تيه، نشرب من الجلد الميت ماءً ينضب وتتعرض نفوسنا الداخلية للموت الروحي.

"فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر، لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر" [17 - 21]

- العجيب أن هاجر رفعت صوتها وبكت أما الولد فكان في إعياء شديد غير قادر على الكلام، ومع ذلك فكان صمت الغلام صوتًا مسموعًا لدى الله أكثر من بكاء هاجر [17]. إن كانت هاجر تمثل حرفية الناموس فإن الساقطين تحت الناموس إن أدركوا الموت الذي يحل بهم وصرخوا في قلوبهم يُسمع لهم، ويفتح أعينهم ليبصروا بئر ماء [19] ليشربوا من الماء الحيّ الذي حرموا أنفسهم منه. وكما يقول العلامة أوريجانوس: [اليوم اليهود بجانب الآبار لكن أعينهم منطمسة فلا يستطيعون الشرب من آبار الناموس والأنبياء... انفتحت أعيننا نحن، وارتفع برقع حرفية الناموس، لكنني أخشى أن نغلق أعيننا بأنفسنا من جديد خلال نوم عميق، وعدم يقظتنا للمعنى الروحي، وإهمالنا في السهر، ونزع النوم عن أعيننا حتى نتأمل الروحيات ولا ننخدع، فنكون بهذا كشعب جسداني نجلس بجوار المياه (ولا نراها). إذن لنسهر مع النبي قائلين:

"اذكر يا رب داود، كل مذلته. كيف اقسم للرب ونذر لعزيز يعقوب. إني أدخل إلي مسكن بيتي ولا أصعد على سرير فراشي ولا ظاعطي لعيني نوماً لعينى ولا نعاساً لأجفاني، ولا راحة لصدغي إلى أن أجد موضعاً للرب، مسكنًا لإله يعقوب" (مزمور 132: 1 - 5)

"وحدث في ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشه كلما ابراهيم قائلين: الله معك في كل ما انت صانع. فالأن احلف لي بالله ههنا إنك لا تغدر بي ولا بنسلي وذريتي، كالمعروف الذي صنعت إليك تصنع إليَّ وإلى الأرض التي تغربت فيها. فقال إبراهيم أنا أحلف. وعاتب ابراهيم ابيمالك لسبب بئر الماء التي اغتصبها عبيد أبيمالك. فقال أبيمالك لم اعلم من فعل هذا الأمر، أنت لم تخبرني ولا أنا سمعت سوى اليوم. فأخذ ابراهيم غنمًا و بقرًا وأعطى أبيمالك فقطعا كلاهما ميثاقاً" [22 - 27]

- أكرم أبيمالك ملك جرار إبراهيم جدًا وسمح له بالبقاء في أرضه لكنه إذ رآه يعظم جدًا، أدرك أن "الله" هو سر عظمته. ونجاحه فخاف منه، لذلك جاء ومعه رئيس جيشه فيكول ليقيما معه ميثاقًا حتى لا يغدر إبراهيم به أو بنسله وذريته.
- وكما تكلمنا سابقاً عن أبيمالك الملك الوثني كيف كان رقيقًا للغاية في معاملته مع إبراهيم، وحين أخذ سارة لم يغتصبها قهرًا وإنما طلبها بنقاوة قلب، وكان كريمًا معهما، يخاف الله. والآن إذ رأى إبراهيم ينجح وينمو نسب كل نجاح لعلاقته بالله، وعوض الحسد أو الغيرة جاء يطلب ميثاقًا. اتسم بالحكمة وحسن التصرف!
- قلنا أن كلمة "أبيمالك" غالبًا كان لقبًا لملوك جرار، حتى يدرك الشعب أن الملك هو أب لهم، إذ اللقب "أبيمالك" يعنى (أبى ملك). أما رئيس الجيش فكان يلقب "فيكول" ويعني (فو الكل) أو (فم الكل). ويبدو أن رئيس الجيش كان أشبه برئيس الوزراء أو الوزير الأول الذي يتكلم بلسان كل الشعب أو فمهم.

"وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. فقال أبيمالك لإبراهيم ما هذه السبع النعاج التي اقمتها وحدها. فقال: إنك سبع نعاج تاخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر. لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع لانهما هناك حلفا كلاهما. فقطعا ميثاقاً في بئر سبع ثم قام أبيمالك وفيكول رئيس جيشه ورجعا الى أرض الفلسطينيين. وغرس إبراهيم اثلاً في بئر سبع ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي. وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياما كثيرة" [28 - 34]

- طلب أبيمالك إقامة ميثاق مع إبراهيم، فعاتبه الأخير بسبب اغتصاب عبيد أبيمالك بئر ماء لإبراهيم. في حكمة وباتساع قلب أخبره أبيمالك أنه لم يعلم عن البئر شيئًا.
- قدم إبراهيم غنمًا وبقرًا لأبيمالك كهدية محبة عند قطع العهد، كما أفرز سبع نعاج وإذ سأل أبيمالك عن هذه النعاج قال له: "لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر" [30]. فقد سميت بئر سبع حتى أن كل من يسأل عن الاسم يقال أنها نسبه للسبع نعاج التي قدمها إبراهيم... ولازال اسمهما هكذا إلى اليوم.
- وإذ أراد تثبيت ملكيته غرس أشجار كثيرة "اثل" هناك يستظل بظلالها ويقيم خيامه تحتها. "ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي (ازلي، أبدي)" [33].
- نعرف عن إبراهيم سخاءه الشديد وشعوره بالغربة فلا يطلب أن يملك شيئًا، فلماذا عاتب أبيمالك في أمر البئر ؟ لماذا أصر على استلامها ؟ ولماذا دعيت بئر سبع، وغرس حولها أشجار الأثل؟

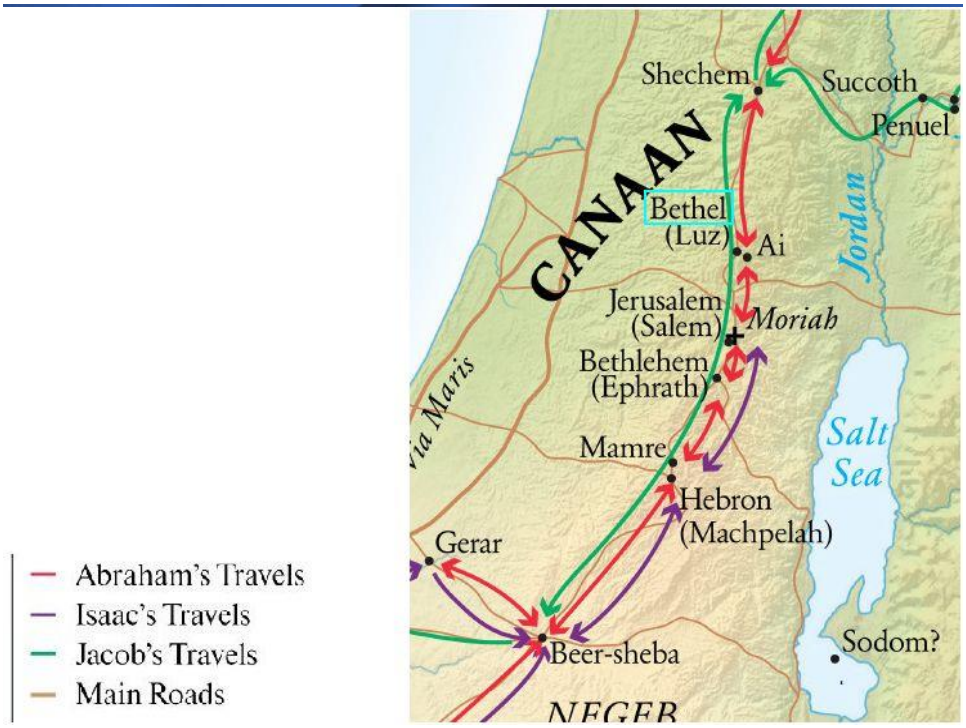
Shechem
Succoth
Penuel
CANAAN
Bethel
(Luz)
Ai
Jordan
Jerusalem
(Salem)
Moriah
Bethlehem
(Ephrath)
via Maris
Salt
Sea
Mamre
Hebron
(Machpelah)
Gerar
Beer-sheba
Sodom?
NEGEB
Abraham's Travels
Isaac's Travels
Jacob's Travels
Main Roads

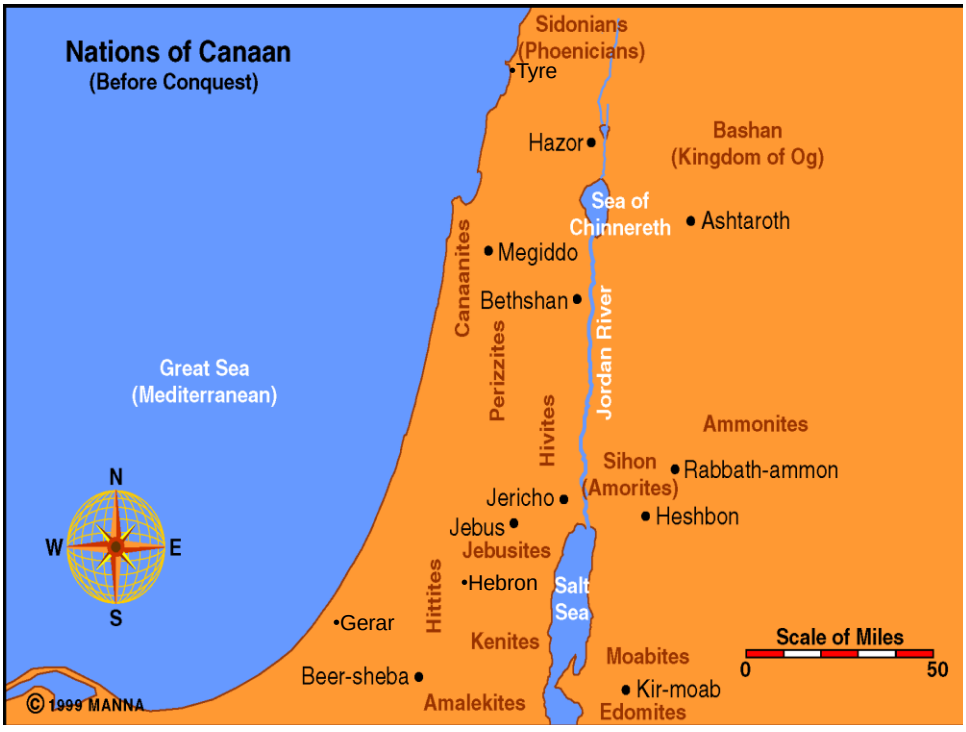
Nations of Canaan
(Before Conquest)
Sidonians
(Phoenicians)
Tyre
Hazor
Bashan
(Kingdom of Og)
Sea of
Chinnereth
Ashtaroth
Megiddo
Bethshan
Canaanites
Perizzites
Jordan River
Great Sea
(Mediterranean)
Hivites
Ammonites
Sihon
(Amorites)
Rabbath-ammon
Jericho
Heshbon
Jebus
Jebusites
Hittites
Hebron
Salt
Sea
Gerar
Kenites
Moabites
Scale of Miles
0
50
Beer-sheba
Kir-moab
Amalekites
Edomites
N
W
E
S
© 1999 MANNA

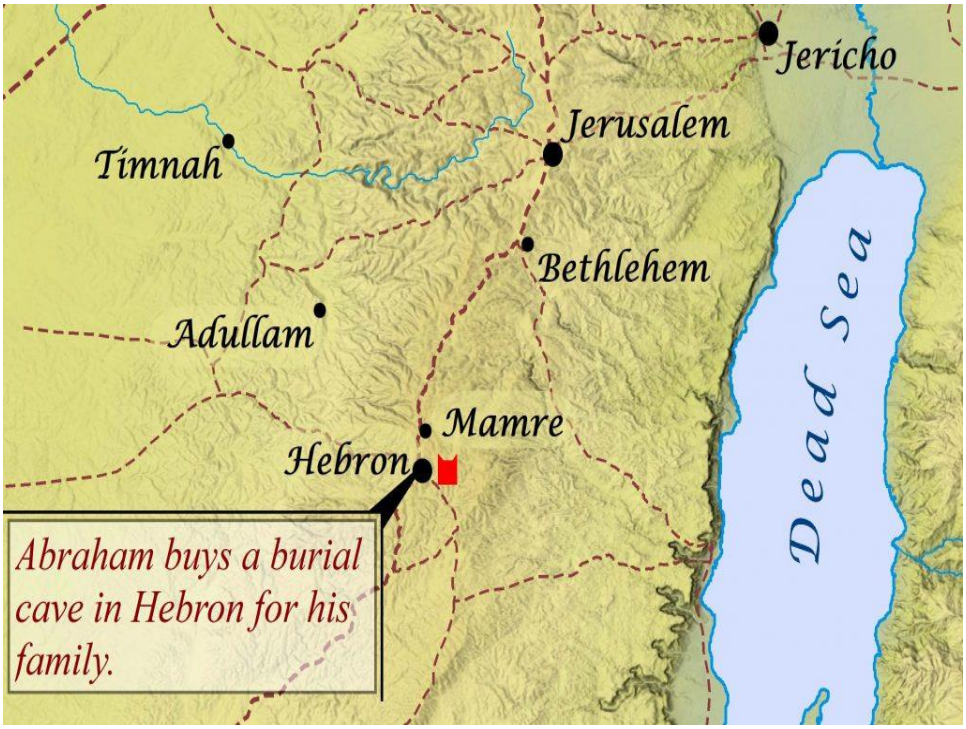

- بلا شك تشير "البئر" إلى الكنيسة التي تفيض بمياه الروح القدس الذي يهبه السيد المسيح من عند الآب، لذا قدم إبراهيم النعاج السبع شهادة لاقتنائه البئر، وكأنه يبيع كل شيء ليقتني العضوية الكنسية وينهل من مياه الروح القدس. أما دعوتها ببئر سبع فتشير إلى عمل الروح القدس في الكنيسة خاصة في الأسرار السبعة. وغرس الأشجار حولها يشير إلى المؤمنين الذي يلتفون حول مياه الروح القدس وينعمون به فيهم (حزقيال 48) وبهذا يتمجد الله فيهم ويدعى اسمه عليهم، حتى إن تغرب المؤمنون مع إبراهيم في العالم أياما كثيرة.

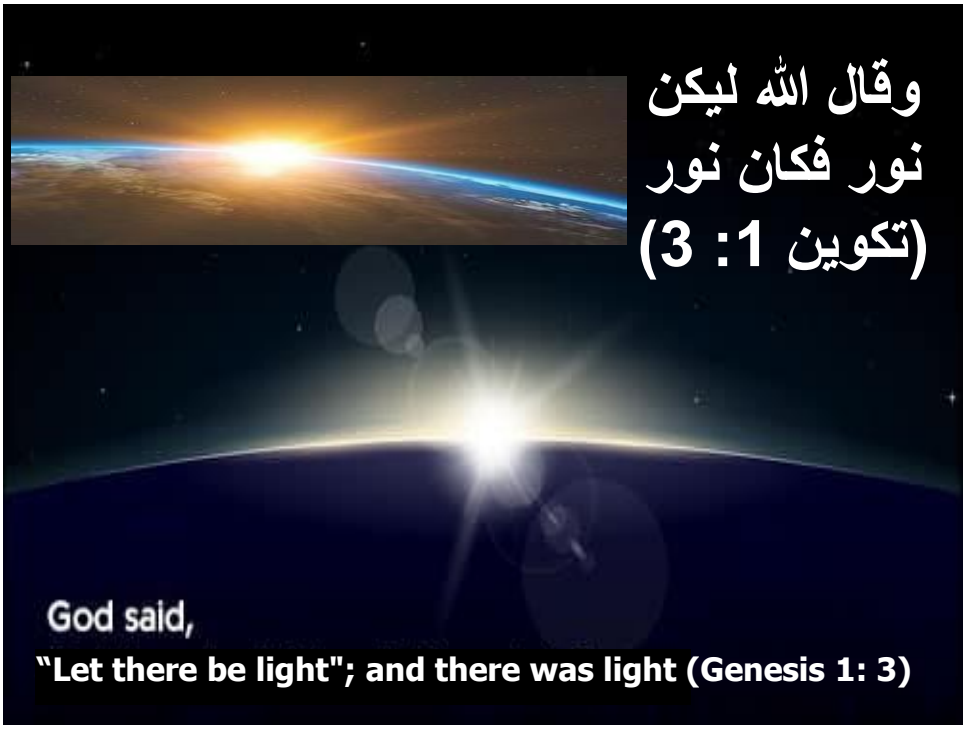
وقال الله ليكن
نور فكان نور
(تكوين 1: 3)
God said,
"Let there be light"; and there was light (Genesis 1: 3)